الشفاهية والكتابية والوحي القرآني

إعداد

الدكتور محمد عبد الرحمن سلامة
الأستاذ المساعد بقسم الفقه والأصول
جامعة المدينة العالمية بماليزيا

ملخص البحث

يتميز الوحي القرآني منذ نزوله بالاعتماد في حفظه على ضبط الصدر بالأساس، وقد اشتمل القرآن الكريم على آليات في نظمه معينة على إتقان حفظه؛ وهي آليات تمزج بين تلك الموجودة في النظمين الشعري والنثري، وتنفرد وتتميز عنهما في نفس الوقت، لتكون نظمًا خاصة، تحدى أقحاح العرب أن يأتوا بأقل قدر منه. كذلك اختص الوحي القرآني بطريقة في القراءة والتلاوة، وقد كان لهذه الخصائص في النظم القرآني وفي طريقة التلاوة أثرها الذي لا يخفى على نشأة وتطور علوم تبحثها وتأصل لمسائلها. ومع ذلك اتخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى الله عليه وسلم كتابًا للوحي القرآني إدراكًا منه لأهمية الكتابية، واستشرافًا للتحول الكتابي الذي سيطرأ على الأمة من بعده، بعد أن ظهرت بوادره في عهده. واستكمل الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين مسيرة ضبط النص القرآني وحمايته، فكان الجمع الأول في عهد أبي بكر بهدف ضم شتات النص في مصحف واحد مرتب السور بحسب العرضة الأخيرة. ثم كان الجمع الثاني في عهد عثمان بهدف توحيد الأمة وضبط النص القرآني بحسب الحرف الأول الذي نزل به القرآن قبل رخصة الأحرف السبعة، وبحيث تحتمل كلمات النص ما ثبت لدى لجنة الضبط من قراءات قامت عليها البراهين القوية بإجازة النبي -صلى الله عليه وسلم- لها، وانعقد الإجماع على ما توصلت إليه. ولقد أحدث تدوين القرآن نقلة ثقافية كبيرة للأمة العربية، فساعد على نقاء وتهذيب لغتها من ناحية، وعلى انتشارها مع الإسلام من ناحية أخرى. كما نشأت العلوم المرتبطة بخدمة النص القرآني، ودخلت الأمة مرحلة الحضارة في معارفها وثقافتها وآدابها. إن التزاوج الفريد للشفاهية والكتابية فيما يتعلق بالوحي القرآني يجعل نص القرآن فوق أي مقارنة تحلو للدارسين المهتمين بمسألة الشفاهية والكتابية مع الكتاب المقدس- فضلًا عن غيره من النصوص. وهي المقارنة التي لا تضع في الحسبان ذلك البون الشاسع بين نص إلهي اللفظ والمعنى، حفظ في الصدور والسطور بأعلى درجات التوثيق والنقل، ونص لا يقول أشد المؤمنين به إنه إلهي في لفظه، وإن اعتقد أنه مكتوب بإلهام من الإله، ومر بمراحل كثيرة من التغيير في تاريخه. وقد أقر المنصفون من المستشرقين ممن درسوا النص القرآني في لغته العربية بعيدًا عن التعصب بأنه كتاب فريد لا يمكن أن يكون من صنع بشر.

الكلمات الدلالية: حفظ الصدور- المحسنات اللفظية- الأحـــرف الســـبعة- أميـــة الرسول- تدوين القرآن- التحول الثقافي

Abstract

Learning and memorizing the Quranic revelation by heart, has always been a distinguished characteristic for its preservation. The very composition of the Gracious Quran has its own techniques that help to master its memorization. Such techniques marvelously combine those found in the composition of both prose and poetry, but they are so uniquely distinct that the Arabs, who were so proud of their language and eloquence, could not create anything similar to the smallest part of it. The Quranic revelation, moreover, is distinguished by an exceptional manner of recitation that attracts ears and hearts. Such characteristics of the Quranic composition and recitation have their unmistakable impact on the rise and development of related branches of knowledge.

Nevertheless, the Prophet (peace and blessings be upon him) had scribes to write down Quranic revelation and make it available in a visible form. He realized the importance of literacy and foresaw the cultural transition that would take place after his demise. His companions continued the mission of safeguarding and protecting the text of the Quran. Thus, the Quran was first collected by Abu Bakr with the aim of gathering together the Quranic text from its separate materials in one codex. Then, there was another collection at the time of Uthman with the aim of uniting the Muslim nation and standardizing the text according to the first standard recital before the license of the seven recital variations given later.

Recording the Quran was a gigantic step for Arabs as it has helped purifying their language, on the one side, and spreading Islam, on the other. Related branches of knowledge have also risen to serve the Quranic text, which inaugurated the era of Islamic cultural civilization.

The unmatchable combination of orality and literacy as related to the Quranic revelation makes the text of the Quran beyond any comparison that could be made by those concerned with studying sacred texts from this perspective. Such a comparison overlooks the fact that the Quranic revelation, unlike other sacred books, is divine in both words and meaning.

مقدمة

منذ أثار ميلمان باري من غير قصد في أطروحته للدكتوراه إشكالية الشفاهية والكتابية، والباحثون المهتمون بهذا الفرع من المعرفة ما فتئوا يحاولون تطبيقه على جميع الموروثات والتقاليد لدى جميع الأمم، وقد دخل هذا الاتجاه إلى موروثات وتقاليد الأمة الإسلامية متمثلة في الأدب العربي، وكذلك في الموروث الديني المتمثل في مظهري الوحي: الكتاب والسنة.

وإذا كان الأصل في الكلام هو الشفاهية، والكتابة رمزًا يمثل قيدًا للمنطوق في صورة مرئية، فإن القرآن هو كلام الله. وقد خاض المتكلمون من المسلمين في طبيعة كلام المولى عز وجل، والذي عليه اعتقاد السلف أن الكلام صفة له عز وجل، وأنه سبحانه يتكلم بما يشاء وكيف شاء متى شاء، بكيفية لا نعلمها. وقد تكلم سبحانه بالقرآن وكتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يهبط به جبريل إلى السماء الدنيا، ثم إلى الأرض على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتهر القرآن بهذه التسمية، لكنه أيضًا مشهور ومشار إليه في كثير من آياته على أنه الكتاب. فالأول يشير إلى البعد الشفاهي، والثاني يشير إلى البعد الكتابي. وهما وصفان ملازمان للوحي.

إشكالية البحث:

يطرح التقابل بين الشفاهية والكتابية نفسه كإشكالية عند دراسة كثير من تراث الأمم الذي تلا تدوينه مرحلة كانت الثقافة الشفاهية هي السائدة فيها، وقد انسحبت هذه الإشكالية على دراسة الكتب المقدسة، والتقاليد الشفاهية الدينية المدونة لدى الأمم، حيث يسود الاعتقاد بأنها ظلت لفترة طويلة في حالة شفاهية قبل أن يتم تدوينها.

وتتجلى الإشكالية في التفاوت بين الفكر والتعبير المؤسسين في النمط الثقافي الشفاهي وذينك المؤسسين في النمط الثقافي الكتابي، نظرًا للخصائص المختلفة التي تميز كلًا من الثقافتين، مما ينتج عنه بعض الإشكاليات في فهم كل منهما للآخر.

ولم يسلم التراث العربي من طرح هذه الإشكالية؛ إذ تحولت الثقافة العربية تدريجيًا

من الشفاهية إلى الكتابية نتيجة بالأساس لكتابة القرآن الكريم، وظهور العلوم والمعارف المرتبطة به، ومنها تدوين التراث العربي باعتباره ذخيرة لفهم لغة القرآن الكريم بل قد يطرح البعض هذه الإشكالية بالنسبة للقرآن الكريم نفسه قياسًا على طرحها بالنسبة للكتاب المقدس. الأمر الذي يمس عقيدة المسلمين، ويحتاج من ثم إلى نقاش علمي موضوعي.

إن الدراسات الخاصة بالكتاب المقدس – مثل الدراسات النصية الأخرى– تجنح بلا تعمد إلى قياس النظام اللفظي والفكري في الثقافات الشفاهية على ما عليه هذا النظام في الثقافات الكتابية، وتصور الذاكرة الشفاهية على أنها تنويع للذاكرة الكتابية الحرفية، وترى أن ما هو محفوظ في التقليد الشفاهي نص ينتظر أن يكتب.(١) وإذا كان لكل من الشفاهية والكتابية سلبيات وإيجابيات أثرت على تاريخ الكتاب المقدس، فإن سؤالًا قد يطرح عما إذا كان الوحي القرآني تأثر خلال تاريخه بمثل تلك المؤثرات.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. هل توجد علاقة بين الوحي القرآني وقضية الشفاهية والكتابية؟

٢. ما الذي تثيره هذه القضية بالنسبة لتلقي النبي –صلى الله عليه وسلم– للوحي؟

٣. ما الذي تثيره هذه القضية بالنسبة لتدوين الوحي القرآني؟

٤. ما الذي تثيره هذه القضية بالنسبة لخصائص القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

١. بيان تكامل جانبي الشفاهية والكتابية في ما يتعلق بالوحي القرآني.

٢. بيان خصائص القرآن الكريم من الجانب الشفاهي.

٣. بيان أثر أمية الرسول –صلى الله عليه وسلم– على تناول مسألة الوحي.

(١) انظر أونج، أولتر ج.(١٩٩٤) الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، الكويت: سلسلة عالم المعرفة (عدد ١٨٢ فبراير).ص ٢٩٩–٣٠٠.

٤. بيان علاقة تدوين القرآن بإشكالية الكتابية.

٥. بيان خصائص القرآن الكريم من الجانب الكتابي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في تصديه لمسألة التقابل الشفاهي-الكتابي التي تسللت إلى مناقشة الكتب المقدسة في ضوء النظريات والاكتشافات المتعلقة بها، مبرزًا تفرد القرآن الكريم باعتباره وحيًا إلهيًا عن غيره من الكتب والنصوص التي تطبق عليها هذه النظريات، وإن كان فيها ما يمكننا من فهم بعض جوانب النظم القرآني.

مصطلحات البحث:

الشفاهية: تناقل المعلومات والثقافات مشافهة.

الكتابية: استخدام الكتابة لتدوين المعارف والثقافات.

الوحي القرآني: كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، على وجه التحدي، المتعبد بتلاوته.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي المقارن، محاولا ربط بعض السمات والحقائق التي تكلم عنها علماء المسلمين في علوم القرآن بقضية الشفاهية-الكتابية.

إجراءات البحث:

الرجوع إلى قضية التقابل الشفاهي-الكتابي في مظانها، ثم عمل مقاربة لخصائص الوحي القرآني- كما تدل عليها المؤلفات في علوم القرآن- من هذا المنظور.

الدراسات السابقة:

لم أجد أول الأمر من تناول جانب الوحي القرآني من خلال المنظور الشفاهي-الكتابي، ثم تبين أثناء جمع المادة والتنقيب أن أحد علماء اللغة في ليبيا وهو الدكتور محمد كريم الكواز له كتاب اسمه "كلام الله"، حاول فيه استخراج سمات الثقافة الشفاهية من القرآن الكريم، لكني للأسف وحتى كتابة هذه السطور لم أستطع الوقوف على الكتاب،

وإن وجد عرض موجز جدًا للكتاب على موقع الوراق.[١] لكنه لا يسمح بالاطلاع على مضمون الكتاب لاكتشاف نقاط الاتفاق والاختلاف. ومن ثم جاء هذا البحث ناسجًا على غير منوال سابق.

خطة البحث:

يحاول البحث معالجة إشكاليته من خلال النظر في بعض القضايا المتعلقة بالوحي القرآني في مراحله الأولى من منظور التقابل الشفاهي الكتابي، وهي قضايا أكثر علماء المسلمين من التأليف فيها في القديم والحديث، لكن سيقتصر الكلام فيها على ربطها بهذا التقابل، دون الخوض في تفاصيل جزئية كتب في آحادها مؤلفات مستقلة، وذلك من خلال مبحثين:

المبحث الأول: البعد الشفاهي للوحي القرآني.

المطلب الأول: الشفاهية أصل في الوحي.

المطلب الثاني: حفظ الوحي في الصدور.

المطلب الثالث: خصائص الجانب الشفاهي للوحي القرآني وأثرها.

فرع: في نزول القرآن على سبعة أحرف.

المبحث الثاني: البعد الكتابي للوحي القرآني.

المطلب الأول: أمية الرسول -صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: تدوين الوحي القرآني.

المطلب الثالث: الجانب الكتابي للوحي القرآني وأثره.

خاتمة البحث ونتائجه.

جريدة المراجع

(١) وهذا رابط الموقع

.http://www.alwaraq.net/Core/dg/dg_topic?dmy=1&sort=vr&order=desc&ID=50&begin=81

المبحث الأول: البعد الشفاهي للوحي القرآني

يرجع أصل الشفاهية إلى معنى المشافهة أي التكلم والمخاطبة شفويًا، لكن المراد بها في مقابلة الشفاهية طرق التفكير والتعبير في الثقافات التي تغيب أو تندر فيها الكتابة. وتناقل المعلومات في هذه الثقافات إنما يكون بواسطة الكلام والسماع فقط حيث يغيب الحضور البصري للغة لصالح الحضور السمعي. وقد كانت العرب أمة تشيع فيها الأمية وتقل فيها الكتابة، بما يعني سيادة الجانب الشفاهي في مرحلة ما قبل الإسلام. وفي المطالب التالية نحاول استجلاء وضع الوحي القرآني حين نزل في هذه البيئة الشفاهية.

المطلب الأول: الشفاهية أصل في الوحي القرآني

إن الوحي المقصود هنا هو الوحي القرآني في المرحلة التي حصل فيها الاتصال بالبشر عن طريق أمين الوحي جبريل، وأما قبل نزوله من السماء إلى الأرض فالثابت في القرآن أنه مكتوب في السماء قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج ٢١-٢٢]، وقال ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة ٧٧-٧٩] وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس ١١-١٥]. فاللوح المحفوظ، والكتاب المكنون، والصحف المكرمة تدل على كتاب سماوي.(١)

ثم نزل على المشهور إلى السماء الدنيا جملة واحدة.(٢)ومستند ذلك ما جاء عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشر سنين، وقرأ "وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث...". وفي رواية أخرى صحيحة: وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل يترل به على النبي صلى الله عليه وسلم. وإسناده صحيح.(٣)

---

(١) انظر ابن كثير، عماد الدين اسماعيل الدمشقي (بدون تاريخ)، تفسير القرآن العظيم، ٤ مجلدات، القاهرة: دار التراث العربي، ٤/٢٩٨، ٤٩٧، ٤٧١.

(٢)لمناقشة هذه القضية انظر سلامة، عبد الفتاح، (١٤٢٠/١٩٩٩) من قضايا الوحي والتتريل في القرآن الكريم، ط١، طنطا، دار الصحابة، ص٥٩ وما بعدها.

(٣) انظر العسقلاني، أحمد بن حجر، (١٩٩٣/١٤١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق طه سعد، ١٩ مجلد، ط١، القاهرة، دار الغد العربي، ١٤/١٧٦.

والذي تدل عليه الأدلة أيضًا أن جبريل سمع القرآن من المولى عز وجل مباشرة، وقد نص على ذلك الإمام أحمد وغيره، ومما يستدل به على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [النحل ١٠٢].(١) وأيضًا فقد ورد النص بكلام الله تعالى لبعض أنبيائه من البشر قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء ١٦٤] وقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة ٢٥٣]. وقد كلم الله ملائكته عند الأمر بخلق آدم ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾..." [البقرة ٣٠] وفي الحديث ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل. حتى إذا جاءهم جبريل، فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل، ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق)).(٢) فلا عجب أن الله تعالى هو الذي تكلم بالوحي القرآني لجبريل.

فهذا القدر هو ما لدينا عن الوحي القرآني قبل نزوله إلى الأرض، ولكن ما يهمنا هو نزول الوحي القرآني من السماء إلى الأرض في أول تجلياته في غار حراء على النبي الأمي محمد -صلى الله عليه وسلم.

والوحي بالمعنى الاصطلاحي هو ظاهرة تمثل نوعًا من التواصل بين الله عز وجل والبشر؛ والوحي القرآني هو كلام الله عز وجل الذي تكلم به، ونزل به جبريل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالتلقي مباشرة عن الله عز وجل في الدنيا ليس في مستطاع إنسان إلا بإحدى طرق ثلاثة أشار إليها القرآن الكريم نفسه في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى ٥١]. فهي مقامات ثلاث: القذف في الروع مع يقين بأن ذلك من الله تعالى، والكلام من وراء حجاب كما وقع لموسى عليه السلام، والوحي

(١) انظر ا ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٢٥/٢٠٠٤) مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، ٣٧ مجلدًا، مجمع الملك فهد، ٢٩٨/١٢.

(٢) انظر أبو داود، سليمان بن الأشعث، (١٤٠٨/١٩٨٨)، سنن أبي داود، ٤ مجلدات، القاهرة: دار الحديث، كتاب السنة، باب في القرآن، ٢٣٥/٤. وأيضًا الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٠٨/١٩٨٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مجلدا، ط٣، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٨/١.

عن طريق الرسول الملكي.(١)

والروايات التي لا مطعن في صحتها أن دور النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما هو التلقي والتبليغ، وهو الدور الشفاهي المقصود في هذا المقام. فقد سئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: كيف يأتيك الوحي، فقال: ((أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول...))(٢) وهذا واضح أيضًا من أول لقاء في الغار، حين كان الملك يلقنه ويقول له "اقرأ"(٣)، وكذلك الروايات الكثيرة التي تحكي مناسبات مختلفة حضره الصحابة فيها عند نزول الوحي عليه. كلها تؤكد على هذا الدور؛ أعني دور المتلقي شفاهة.

ويلاحظ أن المقابلة الأولى في غار حراء كانت أول كلمة فيها "اقرأ"، وأصل مادة القراءة يدل على جمع واجتماع، ومنه القرية لاجتماع الناس فيها، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل. والقرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان، قال تعالى "إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرآناه فاتبع قرآنه"، وقد صار كالعلم على الكتاب المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأيضًا فإنه جامع للأحكام والقصص وغير ذلك.(٤)

إن القراءة هي نطق بكلام معين مكتوب أو محفوظ عن ظهر قلب،(٥) فهي عملية شفاهية بالأساس. والأمر بها "اقرأ" في لقاء الغار أمر أن يقوم المأمور بالقراءة في المستقبل القريب، ومعناه أن يقول ما سيملى عليه، والقرينة على ذلك أنه لم يؤمر بتقديم إملاء

(١) انظر ابن كثير، مرجع سابق، ٤/١٢١-١٢٢.

(٢) انظر ا البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٩٣/١٤١٣)، صحيح البخاري، (مطبوع مع فتح الباري)، تحقيق طه سعد، ١٩ مجلد، ط١، القاهرة، دار الغد العربي، باب بدأ الوحي، ١/٦٣-٦٩.

(٣) انظر البخاري، مرجع سابق، ١/٧٠-٨٠. وأيضًا النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٩٨٧/١٤٠٧ ٦ مجلدات (١٨ جزءًا مع شرح النووي) ط١، القاهرة، دار الريان للتراث، ج٢/١٩٧-٢٠٥.

(٤) انظر أبو الحسين، أحمد بن فارس، (١٣٩٩/١٩٧٩) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ٦ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ٥/٧٨-٧٩، و الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (بدون تاريخ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، ص٤٠٢.

(٥) انظر ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ١٢ مجلدًا، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، بدون تاريخ) ج ٣٠/٤٣٥.

كلام عليه محفوظ فتطلب منه قراءته، ولا سلمت إليه صحيفة فتطلب منه قراءتها، فهو كما يقول المعلم للتلميذ: اكتب، فيتأهب لكتابة ما سيملى عليه.(١) وهكذا كان تلقي النبي -صلى الله عليه وسلم- للوحي القرآني.

بل إن للقراءة دورًا محوريًا حتى مع القرآن المسطور. فالنص المكتوب مضطر بطريقة مباشرة أم غير مباشرة إلى الارتباط بعالم الصوت الذي هو الموطن الطبيعي للغة كي يعطي معناه؛ فقراءة النص تعني تحويله إلى صوت، جهوريًا كان أو في الخاطر، مقطعًا في القراءة البطيئة، أو اختزالًا في القراءة السريعة، فالكتابة لا تستغني عن الشفاهية، وأما التعبير الشفاهي فوجد في كثير من الأحيان دون أي كتابة على الإطلاق..(٢)

وإلى هذا المعنى تشير عبارة ابن كثير (774 هـــ) وهو يعلق على أول آيات أنزلت من سورة العلق، متحدثًا عن إكرام الله تعالى للبشر بالعلم، وتمييز آدم به على الملائكة، من أن "العلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان: ذهني، ولفظي، ورسمي. والرسمي يستلزمهما ولا عكس."(٣)

ومن ثم فالوحي القرآني ليس كلامًا بشريًا لتطبق عليه نظرية تقابل الشفاهية-الكتابية. ذلك أن هذا التقابل قائم في شقه الشفاهي على البحث عن أدوات التفكير والتعبير لدى من لا يعرفون الكتابة. والوحي القرآني ليس ناتجًا عن تفكير بشري، وليس نتاجًا بشريًا، بل كلام إلهي نصًا ومعنى، والدور البشري مقتصر على التلقي والحفظ، وإن كان يمكن إطلاق لفظ الشفاهية على مشافهة الرسول الملكي للرسول البشري بالوحي، فالقرآن لم يترل كنص مكتوب من السماء، بل منجمًا سماعًا من الرسول الملكي. ومن هنا يمكن القول بأن الشفاهية بمعنى التلقي الشفاهي -لا بمعنى الناتج الشفاهي- أصل الوحي القرآني، وهو ما تؤكده النصوص الصحيحة الثابتة عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الشأن- وعدم الانطلاق من هذه المسلمة يحوجنا إلى الدخول في نقاش عقدي لإثبات صحة الوحي مما يخرج بنا عن موضوع البحث.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر أونج ، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٣) ابن كثير، مرجع سابق، ٥٢٨/٤.

إن قياس القرآن الكريم على الكتاب المقدس في هذا الصدد -وهو القياس الذي يثيره غير المنصفين من المستشرقين ومن مال إلى طريقتهم من المستغربين- قياس مع الفارق؛ إذ إن المؤمنين بالكتاب المقدس مع زعمهم أنه كتب بإلهام إلهي للكُتاب، إلا إنهم لا يزعمون أن اللفظ إلهي. من ثم يبقى التعبير بشريًا باتفاق.

المطلب الثاني: حفظ الوحي القرآني في الصدور

لقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- حريصًا على حفظ الوحي واستظهاره عند نزوله، فكان يردد الآيات ويتعجل حفظها قبل أن ينتهي الملك من الوحي مخافة أن ينسى منه شيئًا، فجاء القرآن في أول الطريق يطمئنه، وينهاه عن تلك العجلة: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ " [طه ١١٤]. وجاءت آيات أخرى تؤكد أن حفظ القرآن مكفول للنبي -صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: "﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة ١٦-١٩]. كذلك قال الله تعالى لنبيه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى ٦].

وكان من حكمة الله تعالى أن يترل القرآن منجمًا، حتى يمكن حفظه واستظهاره بسهولة، ذلك إن القرآن نزل ليحفظ في الأجيال كلها جيلًا بعد جيل، وما يحفظ في الصدور لا يعتريه التغيير ولا التبديل، بخلاف ما يحفظ في السطور. ولو نزل القرآن جملة واحدة على أمة أمية لا يقرأ غالبهم ولا يكتب لشق عليهم حفظه.(١)

كما كان جبريل -عليه السلام- يدارس النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن، وكان له معه مدارسة خاصة في رمضان فكان يلقاه كل ليلة. حتى كان آخر رمضان من حياته -صلى الله عليه وسلم- عارضه جبريل عليه السلام مرتين.(٢) ثم إن القرآن نزل على أمة أمية كانت تفتخر بقوة الحفظ والذاكرة، ولها في الشعر باع طويل طورته حتى صار تراثها فيه مفخرة بين الأمم.

---

(١) انظر أبو زهرة، محمد، (١٤١٨/١٩٩٨ القرآن المعجزة الكبرى، القاهرة، دار الفكر العربي، ص١٨-١٩.

(٢) انظر البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب كيف كان جبريل يعرض القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم، ١٤/٢٢٦-٢٢٩.

وقد ساعدت هذه الخواص، أعني نزول القرآن منجمًا، وضمان الوحي حفظه للنبي –صلى الله عليه وسلم– وقراءته عليه، وقوة حافظة العرب، كل ذلك ساعد الصحابة رضوان الله عليهم على حفظ القرآن الكريم في صدورهم. أضف إلى ذلك عنايتهم الفائقة بالقرآن الكريم حيث كانوا يتنافسون في حفظه واستظهاره، ويتسابقون إلى مدارسته تفهمه، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظونه منه، وربما كانت قرة عين المرأة منهم أن يكون مهر زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها، وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود للذه القيام به في الليل، والتلاوة له في الأسحار، والصلاة به، حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في دياجير الليل يسمع فيها دويًا كدوي النحل بالقرآن. وكان الرسول يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل يبلغهم ما أنزل إليه من ربه، ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلهم ويقرئهم. كما بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته يعلمانهم القرآن، وكما أرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد الهجرة للتحفيظ والإقراء.(١)

وكان الاهتمام بالتطبيق العملي كذلك معينًا على الحفظ، كما جاء في الأثر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل معًا.(٢)

وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يمر على بيوت الأنصار ويستمع إلى ندى أصواتهم بالقراءة في بيوتهم، كما جاء في الحديث الذي يرويه البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((إني لأعرف رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوها بالنهار)).(٣)

---

(١) انظر: الدليمي، أكرم عبد خليفة، جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٧/٢٠٠٦) ص ٢٥-٢٦؛ والقطان، مناع مباحث في علوم القرآن، ط٣، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر ١٤٢١/٢٠٠٠) ص ١٢٠-١٢١.

(٢) انظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ٢٥ مجلدًا (القاهرة: مؤسسة قرطبة، إكمال طبعة دار المعارف ١٤١٨/١٩٩٧) حديث رقم ٢٣٥٢٩.

(٣) البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب غزة خيبر، ١٣٧/١٢.

وهكذا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- جمًا غفيرًا من الصحابة الكرام، فمنهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ بعضه، فلم ينتقل -صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى إلا وقد جمع القرآن في صدر طائفة كبيرة من الصحابة،(١) حتى بلغ عدد القتلى منهم في بئر معونة ويوم اليمامة ما يقارب مائة وأربعين.

ويعد الاعتماد على حفظ الصدور لا على حفظ الكتب في نقل القرآن الكريم أشرف خصائص هذه الأمة. قال سبحانه وتعالى عن كتابه: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [العنكبوت ٤٩] وروى الإمام أحمد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال "إن ربي قال: قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: رب إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: مبتليك ومبتل بك، ومترل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرأه نائمًا ويقظانًا، فابعث جندًا أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك".(٢) وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى "﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾أثرًا عن قتادة في صفة هذه الأمة وفيه "أناجيلهم في صدوررهم"(٣).

ربما يصعب على بعض الناس في هذا الزمان الذي طغت فيه الثقافة الكتابية أن يتصور مسألة حفظ الصدر هذه، مع أنه لو وضع العوامل السالفة الذكر معًا، مع مراعاة طبيعة العقلية الشفاهية، واعتمادها على قوة الذاكرة، ومع توفر الدواعي الدينية على الحفظ والإتقان، خدمة للدين وطلبًا للثواب، لم ير الأمر صعبًا، ومازال القرآن الكريم بخصائصه العجيبة التي نتناولها إن شاء الله في المطلب التالي يحفظه سماعًا آلاف من من فقدوا حاسة البصر من العرب، ومن المبصرين وغير المبصرين من غير العرب ممن قد لا يحسن كثير منهم العربية. وهذه المسابقات الدولية في حفظ القرآن الكريم شاهد على هذه المعجزة التي لا يحظى بها نص على وجه الأرض إلا القرآن الكريم.

(١) ذكر السيوطي عشرات منهم. انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (بدون تاريخ) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤أجزاء في مجلدين، القاهرة، دار التراث، ١/١٩٩-٢٠٤.

(٢) انظر: ابن حنبل، مرجع سابق، ١٧٥١٩.

(٣) ابن كثير، مرجع سابق، ٢/٢٤٩، وأيضًا الديلمي، مرجع سابق، ص ٢٩.

المطلب الثالث: خصائص الوحي الشفاهية وأثرها

في الثقافة الشفاهية–كتلك السائدة في بلاد العرب وقت نزول الوحي– حيث تغيب الكتابة في الأغلب، لا يكون للكلمات حضور بصري يمكن البحث فيه والرجوع، بل هي أصوات. ومشكلة الصوت أنه سريع الزوال، ولا توجد طريقة لإيقافه وتثبيته.(١) ولذلك توصل تحليل المهتمين بدراسة الثقافات الشفاهية إلى أن من يعيشون في هذه الثقافات كانت لهم خصائص معينة في التفكير والتعبير، خاصة فيما يودون الاحتفاظ به. ويعد أونج أبرز من تكلم عن هذه السمات. ويمكن إيجازها في النقاط التالية:(٢)

١.عطف الجمل بدلًا من تداخلها.

٢ـــ الأسلوب التجميعي في مقابل التحليلي، وهو الاعتماد علي الصيغ لتقوية الذاكرة، فعناصر الفكر والتعبير الشفاهي تتكون من وحدات علي هيئة عناقيد، وعبارات متوازية أو متعارضة.

٣ـــ الأسلوب الإطنابي أو الغزير، فالبصر يحرر الكتابة من الإطناب بينما الشفاهي يطنب لكونه في حاجة إلي البقاء قريبا من بؤرة الانتباه.

٤ـــ الأسلوب المحافظ أو التقليدي، فالإبداع في الثقافة الشفاهية يعتمد علي التجريب في أضيق الحدود، حيث إن المعرفة الشفاهية التي تم تحصيلها سريعة التلاشي.

٥ـــ القرب من عالم الحياة الإنسانية، فالثقافات الشفاهية تصوغ كل معارفها بشكل يجعلها وثيقة الصلة بالحياة الإنسانية.

٦ـــ لهجة المخاصمة، فالكتابة حيث تنتمي إلي التجريد قد نأت بالمعرفة عن ساحة النزال، في حين تضع الشفاهية المعرفة في سياق الصراع بإبقائها في عالم الحياة الإنسانية.

٧ـــ الميل إلي المشاركة الوجدانية في مقابل الحياد الموضوعي، فالكتابة تبني شروط الموضوعية بفصل العارف عن المعروف، بينما الراوي يترلق ويتكلم بضمير المتكلم المفرد.

٨ـــ التوازن، ففي الشفاهية ينشغلون بتنظيم العالم الواقعي مع ربطه بالماضي فهم

---

(١) لهذا التحليل انظر أونج، مرجع سابق، ص ٧٨، ٨٩–٩١

(٢) المرجع سابق، ص ٩٧–١١٦.

يحتفون بسلاسل النسب.

٩ــ موقفية أكثر منها تجريدية، حيث تميل الشفاهية إلي استخدام المفاهيم في مواقف إجرائية تعتمد علي مرجعية ضئيلة من التجريد فتظل الكلمة قريبة من عالم الحياة الإنسانية المعيشة.

وقد ذكرنا أن القرآن الكريم ليس كلامًا بشريًا لتطبق عليه معايير هذه النظريات، ومع ذلك فإنه يمكن ملاحظة وجود بعض هذه السمات في نظم القرآن الكريم، وكأنه قصد بها أن يسهل حفظه وتذكره. فالقرآن في نظمه وتلاوته يحمل آليات حفظه وذكره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر ١٧]، حتى سمي القرآن ذكرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل ٤٤]، وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠] فضلًا عن الأثر الوجداني العميق الذي تحدثه الخصائص الصوتية للنص القرآني في السامع والقارئ.

وتنتمي هذه السمات إلى المحسنات اللفظية المعروفة في علم البلاغة بـــ "فن البديع"، فهي من بلاغة القرآن الكريم، وهي أيضًا من عوامل استحضار اللفظ في الذهن لما في تركيب الألفاظ وتأليفها من ازدواج ومشاكلة تعين الذاكرة على الربط والاستحضار. فمن ذلك:[1]

١. التجنيس: وهو عبارة عن اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما. وهو ينقسم إلى كامل وناقص: فالكامل أن تتفق الكلمتان في الوزن والحركات والسكنات مع الاختلاف في المعاني، ولم يقع في كتاب الله تعالى منه إلا في قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم ٥٥]

(١) اعتمد الباحث في هذه الأنواع البديعية على العلوي، يحيى بن حمزة، (٢٠٠٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣ مجلدات، (القاهرة الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر ١٨٨، ٢/٣٥٤ وما بعدها، و٣/ ١ وما بعدها، و٣/٣٥٠-٣٦٦ باختصار وتصرف يسير مع الاقتصار على ما يتعلق بموضوع البحث من أنواع بديعية. وكذا السيوطي، مرجع سابق، ٤/٢٥٩، ٢٧١، ٢٨٤، ٢٩٠ وما بعدها.

وأما الناقص فأبنيته متنوعة كثيرة في القرآن، وقد يخصون بعض أنواعه بأسماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ [القيامة ٢٩] فزيادة الميم هي التي جعلته ناقصًا، ويسمونه المذيَّل. ومنه المصحَّف، وهو أن تتفق الكلمتان خطًا لا لفظًا كقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف ١٠٤]. ومنه المضارع، وهو أن تتفق الكلمتان إلا في حرف واحد سواء وقع أولًا أو آخرًا أو وسطًا، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ﴾ [النساء ٨٣]، فقد اتفق الأمر والأمن في الهمزة والميم. ومنه المتوازن، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن ويختلفان فيما عداه، كقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغاشية ١٥-١٦]. ومنه المعكوس، بحيث يقرأ من آخره كما يقرأ من أوله كقوله تعالى: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ﴾ [يس ٤٠] وقوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر ٣]. ومنه الاشتقاقي وهو أن تتفق الكلمتان في معنى واحد يجمعهما، كقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ [الروم ٤٣]، وقوله: ﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ [الرحمن ٥٤]، وقوله: ﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ﴾ [الواقعة ٨٩].

٢. التسجيع:(١) وهو في النثر نظير التقفية في الشعر. ومعناه اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما.فإن اتفقت الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن سمي المتوازن، كما في قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ﴾ [الغاشية ١٣-١٤]، وإن اتفقا في الأعجاز من غير وزن سمي المطرف، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾ " [نوح ١٣-١٤] ، وإن اتفقا في الوزن دون الحرف سمي المتوازن كما في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ﴾ [الغاشية ١٥-١٦]. هو ينقسم إلى القصير كقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر ٣-٥]،

(١) ثمة خلاف في صحة إطلاق لفظ السجع على فواصل الآي كما أورده في البرهان ٣/٢٩٠-٢٩٥. ويرى الباحث أن الخلاف لفظي لاتفاق المانعين والمجوزين على ما يوجد في القرآن من هذا المعنى، وإنما منع من منع من التسمية تنزيهًا للقرآن عن مشابهة غيره من القرآن من الكلام، وعن سجع الكهان. والمجوزن لا يرون ذلك مانعًا من إطلاق اللفظ لنزول القرآن بلغة العرب وأساليبها في التعبير، ومنها السجع. فآل الأمر إلى الاصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح. والله أعلم.

و الطويل كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك ٢-٣]، والمتوسط كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية ١٧]. وهذا النوع من البديع في القرآن كثير جدًا، كما لا يخفى.

٣. المطابقة. ويقال له: الطباق والتضاد والتكافؤ. وحاصله الإتيان بالنقيضين والضدين والمتقابلين، كما في قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل ٩٠]، وقوله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة ٨٢]، وقوله "﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥-١٠].

٤. المقابلة والمقصود بها مقابلة اللفظ بمثله، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن ٦٠]، وقوله ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾". [الروم ٤٤]

٥. الموازنة وهو اتفاق آخر الفقرتين في الوزن، وإن لم يتجانسا في الأحرف، ومثاله قوله تالى ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات ١١٧-١١٨] فالمستبين والمستقيم وزنهما واحد، وقوله: ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم ٨١] ثم قال بعدها: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم ٨٢]، فالعز والضد بوزن واحد. وهذا كثير في القرآن.

٦. التتميم، ويقال له التذييل، وهو الإتيان بجملة عقيب كلام متقدم لإفادة التوكيد له والتقرير لمعناه، ومثاله قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ ١٧].

٧. التلميح، وهو عبارة عن الإشارة في أثناء الكلام إلى الأمثال السائرة، ومثاله قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت ٤١]، وقوله: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ﴾ [الأعراف ١٧٦]، وقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ﴾ [الجمعة ٥].

٨. الانسجام بأن يجيء الكلام موزونًا بلا قصد لقوة انسجامه. فمنه من بحر الطويل ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ ﴾ [الكهف ٢٩]، ومن البسيط ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ [هود ٣٧]، ومن الكامل: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة ٢١٣]، ومن الرمل

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ ١٣].

فهذه السمات لها أثر كبير في تسهيل حفظ نص القرآن الكريم على ذاكرة القارئ، ومن عالج حفظ القرآن الكريم يعرف دورها ويستعين بها، وإن كان لا يعرف هذه المصطلحات البلاغية.

وأما الأثر الوجداني لسماع القرآن فقد كان ولا يزال سماع القرآن الكريم سببًا في هداية الكثيرين وانجذابهم لدين الإسلام، كما في القصة المشهورة لإسلام عمر. وفي العصر الحديث يعلن أربري في مقدمة ترجمته للقرآن اعترافه بالتفرد الصوتي والإيقاعي للقرآن الكريم- والذي حاول محاكاة شيء منه في ترجمته(١) الأمر الذي كانت الغفلة عنه سبب اعتراضات كثير من المستشرقين ومترجمي القرآن من الغربيين على النص القرآني الذي كانوا ينظرون إليه على أنه نص مكتوب وحسب- تماما كنظرتهم للكتاب المقدس الذي ينظر إليه بوجه عام على أنه نص مكتوب، وإن كان لبعض فقراته توظيف شعائري في بعض المراسم لدى المؤمنين به من اليهود والنصارى.

إن في القرآن إيقاعًا متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان. وهذه الموسيقى هي إشعاع للنظم الخاص في كل موضع، وتابعة لقصر الفواصل وطولها، كما هي تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة. وقد نفى المولى عز وجل أن يكون القرآن شعرًا أو أن يكون الرسول شاعرًا: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس ٦٩]، ومع ذلك فإن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعًا،(٢) فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال

---

(١) انظر: A.J. Arbery, The Koran Interpreted, Touchstone, NY 1955, the introduction.

(٢)يقول الباقلاني: إن نظم القرآن الكريم على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد. وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالًا، فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع، وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلًا في وزنه... وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق... انظر الباقلاني، أبوبكر، (بدون تاريخ) إعجاز القرآن، القاهرة، مكتبة مصر، ص٣٢.

بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل، والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي؛ وضم ذلك إلى خصائصه الأسلوبية العجيبة فنشأ النثر والنظم جميعًا. وحيث تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه، يبرز بروزًا واضحًا في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلًا أو كثيرًا في السور الطوال، حتى تنفرد الدقة دونه في آيات التشريع. ولكنه على كل حال ملحوظ دائمًا في بناء النظم القرآني.(١)

إن هذا الوقع المؤثر للفظ القرآني هو الذي دعا مشركي مكة إلى قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت ٢٦]، فمجرد سماع القرآن له وقع عجيب على النفس، خاصة ممن له ملكة في العربية.

ويتفرد القرآن الكريم في هذا الجانب بأن له طريقة متفردة في قراءته وتلاوته، ولها أهمية في تدبره وفهمه، ونشأة علوم مرتبطة بها، فمع تدوين القرآن وانتشار المصاحف لا تزال طريقة القراءة والأداء والتلاوة وأحكام التجويد سنة شفاهية متبعة في التحمل والأداء؛ فلا يستطيع أحد حتى وإن طالع أحكام التجويد نظريًا أن يطبقها وينضبط لسانه بالقراءة والتلاوة إلا بالتلقي عن الحفاظ والقراء. والأمر نفسه يقال بالنسبة لعلم القراءات، فكلاهما علم شفاهي بالدرجة الأولى. وتحصيل أي منهما بطريق مطالعة الكتب لا يؤهل المرء للأداء الصحيح المنضبط.

فرع في نزول القرآن على سبعة أحرف:

كان للعرب لهجات شتى نابعة من طبيعة فطرتهم في جرسها وأصواتها وحروفها، فكل قبيلة لها من اللحن في كثير من الكلمات ما ليس للأخرين. لكن قريشًا من بين العرب كان لها من خصائص جوار البيت، وسقاية الحجيج، والإشراف على التجارة ما جعل للسانها ولغتها الصدارة، بين سائر لغات العرب. ولذا كان طبيعيًا أن يترل القرآن بلغة

(١) انظر قطب، سيد، (٢٠٠٤/١٤٢٥ التصوير الفني في القرآن، ط ١٧، القاهرة، دار الشروق، ص ١٠٢-١٠٣ بتصرف يسير.

قريش، التي يعترف لها الجميع بالمكانة والمنزلة. وإذا كانت لهجات العرب تتفاوت في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت فالقرآن الذي أوحى الله به لرسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعًا بحروفه وأوجه قراءته الخالص منها. وذلك من شأنه أن ييسر على العرب القراءة والفهم والحفظ.(١)

وقد أخرج مسلم عن أبي بن كعب أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف.فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا".(٢)

فواضح أن من حكمة ذلك تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لسان، ولا عهد لهم بحفظ شرائع. وقد جاء ذلك نصًا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعض روايات حديث أبي إذ قال: "لقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جبريل عند أحجار المراء فقال: إني بعثت إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم والشيخ العاس والعجوز. فقال جبريل: فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف."(٣) وفي هذا مراعاة للثقافة الشفاهية المتحكمة في الذهنية العربية.

وهذه الرواية مع سابقتها وأخريات تشير -كما يلاحظ د شاهين- إلى أن مسألة الأحرف السبعة مما طرأ في المرحلة المدنية- هشام بن حكيم صاحب الواقعة الشهيرة مع

(١) القطان، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٢) انظر مسلم، مرجع سابق، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ١٠١/٦-١٠٢، أبو داود، مرجع سابق، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٧٧/٢.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، (بدون تاريخ) جامع الترمذي، (مطبوع مع شرح تحفة الأحوذي) ١٠ مجلدات، تحقيق عبد الرحمن عثمان وآخرون (دار الفكر، ١٦٣/٨-١٦٤.

عمر بن الخطاب لم يسلم إلا بعد فتح مكة[1]- فقد مضت الفترة المكية دون أن توجد لدى أحد من الصحابة صعوبة في قراءة القرآن أو حفظه أو فهمه، فقد كان أغلبهم من قريش، وعدده محدود وعلى اتصال دائم بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومن ثم لم تظهر مشكلات في هذا الجانب تحوج إلى شيء من التيسير في التعامل مع قراءة القرآن وحفظه. فما هاجر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة اختلف الحال، وتمددت الدعوة إلى أنحاء الجزيرة العربية، بل وخارجها. وجاءت وفود تمثل مختلف اللهجات والألسنة. بل إن مجتمع المدينة نفسه كان فيه خليطًا من العرب واليهود. ومع ازدياد عدد المسلمين، وازدياد أعباء الدولة، وعودة من يسلم من خارج المدينة إلى أماكنهم، لم يعد بإمكان كل مسلم مباشرة السماع من النبي صلى الله عليه وسلم، والتعلم منه. ويبدو من الروايات أن هذا الأمر شغل النبي -صلى الله عليه وسلم- فترة، فسأل فيه التخفيف كما سأل -صلى الله عليه وسلم- التخفيف في أمر الصلاة. وأجابه الوحي بإباحة قراءة القرآن على سبعة أحرف.

وإذن فقد كانت رخصة، ولذلك لا تذكر الروايات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقف على المنبر ليعلن ذلك للناس، بل يخبر من يهمه الأمر، كما في واقعة عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم. بل إن هذه الرخصة كانت في وقت متأخر من حياته -صلى الله عليه وسلم-؛ فكون عمر لم يعلم بهذا الأمر إلا في واقعته مع هشام الذي أسلم بعد فتح مكة دليل على تأخر هذا الأمر. وهذا يدل على أن الحرف الواحد كان هو الأصل الذي يترل عليه القرآن اكثر مدة الوحي.

ومما سبق يتبين أن المشقة التي استدعت هذه الرخصة لا تخرج- كما يقول د شاهين- عن صورتين: الأولى: أن تكون لهجة القارئ غير لهجة قريش، وللهجات تقاليد تترسخ وقد يصعب تعديل الألسنة تبعًا لتقاليد جديدة. ومن الظواهر اللهجية ما يمثل اتجاهات عامة كالإمالة والإدغام ونطق بعض الأصوات بطريقة خاصة، كالجيم والهمزة. ومن العسير أن يطلب ممن يعتنق الإسلام أن يلتزم تغيير لسانه إلى لسان قريش. والثانية: أن يكون العجز خاصًا بمستوى معين مرتبط بالسن أو الطبقة، كالغلام، والخادم، والشيخ

(١) سيأتي ذكرها بتمامها.

الكبير، وفي نطق هؤلاء عجز عن الأداء الكامل لأصوات القرآن وعباراته، ومن الصعب عليهم تصحيح الأداء.

وليس يتصور صعوبة أخرى تتصل باللفظ إلا إذا كان مختلف المعنى بين لهجة ولهجة، أو غير معروف في لسان قبيلة، كالعهن والصوف. وكل ذلك مما تتكفل بمعالجته جهود المعلمين لنشر القرآن. فكان الإذن بالأحرف السبعة علاجًا ناجعًا لهذا كله، في إطار المشافهة والتلقي، تيسيرًا وتوسعًا في الإعلام بالقرآن، ونشر آياته في أنحاء الجزيرة.(١)

إلا أن الأحرف السبعة هي أيضًا من إعجاز القرآن، فتعدد مناحي التأليف الصوتي للقرآن تعددًا يكافئ الفروع اللسانية التي عليها فطرة اللغة في العرب حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطري ولهجة قومه، مع بقاء الإعجاز الذي تحدى به الرسول العرب، ومع اليأس من معارضته، لا يكون إعجازًا للسان دون آخر، بل إعجاز للفطرة اللغوية نفسها عند العرب. وأيضًا فإن تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات يتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائمًا، لكل عصر. وقد كانت للقراءات القرآنية ولا يزال- وهي من آثار الأحرف السبعة- دور في الأحكام الشرعية، ومسائل الاعتقاد.(٢)

(١) باختصار وتصرف من شاهين، عبد الصبور، (٢٠٠٧ تاريخ القرآن، ط٣، القاهرة، نهضة مصر، ص ٧٩-٨٥.

(٢) انظر القطان، مرجع سابق، ص ١٦٩-١٧٠.

المبحث الثاني: البعد الكتابي للوحي القرآني

للكتابة أثر كبير في حياة الجنس البشري، "فمن دون الكتابة لا يستطيع الوعي الإنساني أن ينجز إمكاناته الأكمل، ولا يستطيع أن ينتج إبداعات أخرى مفعمة بالجمال والقوة. وبهذا المعنى تحتاج الشفاهية أن تنتهي إلى انتاج الكتابة، وهذا هو مصيرها. وتصبح الكتابية ضرورة مطلقة من أجل تطور العلم... بل من أجل شرح اللغة نفسها، بما فيها الكلام الشفاهي."(١)

وقد علم المولى -عز وجل- الإنسان الكتابة، ونبه الأمة الأمية التي نزل عليها القرآن إلى أهميتها،فامتن المولى -عز وجل- بأداة الكتابة في أول آيات نزلت من القرآن الكريم فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق ١-٥]، وأقسم بها في قوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم ١]، وهي أيضًا من أوائل ما نزل. وذكر القرآن القرطاس، والمداد، والصحف، والرق، والسجل. وذكرت مشتقات مادة الكتابة في القرآن نحوًا من ثلاثمائة مرة. و"الكتاب" اسم ملازم للوحي القرآني كاسمه "القرآن"، وقد سمي بذلك في القرآن في مواضع كثيرة.

وإذا كانت القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، فالكتابة ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وإذا كان القرآن مصدرًا سمي به المقروء، فالكتاب مصدر سمي به المكتوب.(٢)

وفي هذا المبحث نحاول علاج بعض الجوانب المتعلقة بالبعد الكتابي للوحي القرآني.

---

(١) أونج، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) انظر الراغب، مصدر سابق، ص ٤٢٣-٤٢٥، وابن فارس، مرجع سابق، ١٥٨/٥.

المطلب الأول: أمية الرسول صلى الله عليه وسلم

جاء وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأمي في آيتين من كتاب الله عز وجل: في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف ١٥٧] وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف ١٥٨]، وجاء في صحيح مسلم عن علي -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي -صلى الله عليه وسلم- إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق."(١)

ونفي المولى -عز وجل- عن نبيه الكتابة فقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وقد جاء عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وغيرهم تفسيره بأنه كان -صلى الله عليه وسلم- أميًا لا يقرأ ولا يكتب.(٢)

ولذلك فإن مشركي مكة لإيقافهم بأميته -صلى الله عليه وسلم- مع عجزهم عن المجيئ بمثل ما جاء به زعموا ما حكاه القرآن من قولهم ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي أمر أن تكتب له، كما يقال احتجم وافتصد ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] أي تقرأ عليه ليحفظها، لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب.(٣).

فالقرآن يستدل بصفة الأمية المعروف بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أنه موحى إليه به. إذ معنى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ ﴾أنك لم تكن تقرأ كتابًا حتى يقول أحد إن هذا القرآن الذي جاء به هو مما كان يتلوه من قبل. ومعنى ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ أي لا تكتب كتابًا ولو كنت لا تتلوه، فالمقصود نفي حالتي التعليم، وهما التعلم بالقراءة

(١) انظر مسلم، مرجع سابق، باب حب علي من الإيمان، ج٢/٦٤.

(٢) للتوسع في هذه الأدلة انظر الدوري، قحطان عبد الرحمن، أمية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ط١ ، (عمان: دار البشير ١٩٩٦/١٤١٧)، ص٨-٩.

(٣) انظر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (١٤٠١/١٩٨١) تفسير مفاتيح الغيب، ٣٢ مجلدًا، ط ١، بيروت، دار الفكر، ٥١/٢٤.

والتعلم بالكتابة استقصاء في تحقيق وصف الأمية، فإن الذي يحفظ كتابًا ولا يعرف يكتب لا يعد أميًا كالعلماء العمي، والذي يستطيع أن يكتب ما يلقى إليه ولا يحفظ علمًا لا يعد أميًا، مثل النساخ. فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية. على أن القرآن عبر بأنه حتى لو لم يكن أميًا لما كان يمكن الجزم بأن القرآن له مصدر سابق، بل إنما ذلك قد يثير الريب وحسب، وإلا فالقرآن الكريم في نظمه ومعانيه لا يمكن أن يكون من جنس كلام البشر بعد التأمل والنظر.(١)

على أن الأمية ليست عيبًا يمكن أن يلصق بالنبي –صلى الله عليه وسلم، لأن القراءة والكتابة هما وسيلتان لتحصيل العلم، وقد حصل عليه –صلى الله عليه وسلم– بأشرف طريقة وهي الوحي. والنبي –صلى الله عليه وسلم– لم يتعلم الكتابة والقراءة مع إمكان ذلك بالنسبة له لو أراد، لكنه لم ير ذلك لا هو ولا غيره نقصًا ولا عيبًا ولا عيّره بذلك أحد في زمانه. فوصف الأمية له –صلى الله عليه وسلم– مدح وشرف له، وإن كان عيبًا في غيره، كما أن التكبر صفة مدح لله تعالى وإن كانت صفة ذم لغيره.

فتبين أن أمية الرسول –صلى الله عليه وسلم– من أجلّ معجزاته من وجوه:

الأول: أنه –صلى الله عليه وسلم– كان يقرأ عليهم القرآن منظومًا مرة بعد مرة، من غير تبديل ألفاظه، ولا تغيير كلماته، لا بزيادة ولا نقصان، مع أنه لم يكن يقرأ ولا يكتب. وتلك معجزة باهرة. وصدق من قال ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى ٦]. بينما إذا ارتجل الخطيب من العرب خطبة ثم أعادها فإنه لا بد وأن يزيد أو ينقص عنها قليلًا أو كثيرًا، وهو أمر معروف في مثل تلك البيئة التي تسودها الثقافة الشفاهية.

الثاني: أنه –صلى الله عليه وسلم– لو كان يحسن الخط والقراءة لاتهم بمطالعة كتب الأولين، فحصل الشك في ما جاء به. لكن سيرته في قومه كانت معروفة، وكانوا يعرفون مدخله ومخرجه، بحيث يكون اتهامه بمثل ذلك نوع من السخف والسفاهة.

الثالث: أن تعلم الخط شيء سهل، ومع ذلك لم يتعلمه –صلى الله عليه وسلم– لاكتفائه بالمصدر الحقيقي للعلوم والمعارف كلها. فكونه يأتي بمثل هذا القرآن المعجز في

(١) انظر ابن عاشور، مرجع سابق، ج٢١/١٠-١١، والباقلاني، مرجع سابق ص ٣١.

نظمه وبيانه، والمعارف والعلوم التي اشتمل عليها، يدل على صحة نبوته -صلى الله عليه وسلم- وإلهية المصدر الذي يتلقى منه.[١]

وهكذا كانت أمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمرًا خارقًا لما هو مألوف في البيئات الأمية التي تسودها الثقافة الشفاهية، على نحو يجعل ما توصل إليه البحث في مجال المقارنة بين الأنماط الشفاهية والأنماط الكتابية للثقافات أمرًا عصيًا على التطبيق في حالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بما يؤكد إلهية مصدر القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تدوين الوحي القرآني

مع كون النبي -صلى الله عليه وسلم- أميًا كانت له بالكتابة أيما عناية، وتذكر السيرة أنه جعل من فداء الأسرى في بدر تعليم المسلمين القراءة والكتابة.[٢]وذلك إدراكًا منه -صلى الله عليه وسلم- أن حالته هي حالة استثنائية، فإن غيره من البشر محتاج إلى تعلم القراءة والكتابة كوسيلة للتعلم والتعليم، وإداراكًا لأهمية الكتابية في استكمال الحفاظ على النص القرآني، وفي نشره ونشر العلوم والمعارف المتصلة به.

ولذلك اتخذ كتابًا للوحي؛ فتدوين القرآن الكريم بدأ تحت رعايته وبتوجيهه صلى الله عليه وسلم. وكان له كتاب للوحي.[٣] وقد كان القرآن الكريم كله مكتوبًا عند مجموع الصحابة. فإذا كان لم يكن كله مكتوبًا عند بعضهم، أو عند واحد منهم بعينه، فإن ذلك لم يكن منفيًا عن جميعهم، فهو مكتوب كله عند بعضهم، وما ينقص من عند واحد يكمله ما عند الآخرين، وهكذا تضافروا جميعًا على نقله مكتوبًا، وإن تقاصر بعضهم عن كتابته كمل الآخر، وكان الكمال النقلي جماعيًا وليس أحاديًا. إنها مرحلة كانت تسير فيها الثقافة الشفاهية إلى جوار الكتابية مع غلبة الشفاهية.

وقد يسأل سائل لماذا كان الجامعون له في الصدور كثيرين، وقد حفظوه كاملًا غير منقوص، ولم يوجد من جمعه في السطور جمعًا كاملًا؟ والجواب من جانبين:

(١) انظر أيضًا الدوري، مرجع سابق، ص ٢٨-٢٩.

(٢) انظر المباركفوري، (١٤١٢/١٩٩٢) صفي الدين، الرحيق المختوم، القاهرة، دار الحديث، ص٢٢٧.

(٣) انظر القطان، مرجع سابق، ص١٢٤-١٢٥.

الأول: من واقع حياة العرب أنهم كانوا أميين، والكتابة فيهم قليلة، وأدوات الكتابة غير متوافرة، وما يكتب عليه غير معد لها، فكانوا يكتبون على الأديم، ولخاف الأشجار، وعلى العسب، وغير ذلك مما لا يعد للكتابة، فكان الغريب أن تكون كتابة، فضلًا عن أن تكون كتابة كاملة للقرآن عند الواحد من الصحابة، وكتابته كاملة عند الجميع كانت بتوفيق الله تعالى ومن عنايته بكتابه الكريم.

الثاني: أن الله تعالى قدر أن جعل حفظ القرآن الكريم في الصدور ابتداءً وانتهاءً، وفي السطور احتياطًا، وأن تواتر القرآن الكريم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكون كما تلقاه عن ربه سبحانه وتعالى، والتواتر يكون بالتلقي في الصدور لا في السطور، ولا يكون تواترًا في مكتوب إلا إذا قرئ المكتوب على من أخذ عنه وأجازه، فالمكتوب يحتاج في نقله إلى الإجازة القولية، والإجازة القولية لا تحتاج إلى كتابة إلا بمقدار تسجيل الإجازة.[1]

جمع أبي بكر: لكن أهل القرآن من هؤلاء القراء الحفظة كانوا يشاركون في الفتوحات الإسلامية والجهاد ضد المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فخشي عمر انقراض هذه الطبقة، بعد مقتل عدد كبير منهم في هذه المعارك، وأشار على أبي بكر بجمع القرآن، فتردد أولًا أن يقدم على الأمر الذي لم يقم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم انشرح صدره لما رأى من خير وحجة قوية لعمر. وقرر تكليف شاب أمين من كتاب الوحي وهو زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم مرتبًا بحسب العرضة الأخيرة التي علم بها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.فقام بجمع القرآن من المواد المكتوب عليها، إضافة إلى ما هو محفوظ في صدور الصحابة، وفي صدره هو شخصيًا،مقتصرًا على ما لم ينسخ. وكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة،ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة مع أبي خزيمة.

وتقرير ما سبق يبين طبيعة وهدف جمع القرآن في عهد أبي بكر. فإذا كان القرآن

(١) انظر أبو زهرة، مرجع سابق، ص ٢٢، ودراز، عبدالله، (١٩٨٤/١٤٠٤) مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، الكويت دار القلم، ص ٣٣.

كله قد كتب في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، إلا أنه لم يكن مجموعًا في موضع واحد، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبًا، وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة ٢]، فكان القرآن مكتوبًا في الصحف، لكن كانت مفرقة فجمعها أبو بكر في مكان واحد، فكانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها.[(١)] وهذا من أبي بكر وبموافقة الصحابة أجمعين إدراك لأهمية المسارعة بتقنين التحول الكتابي ووجود نسخة كاملة مكتوبة من القرآن الكريم في الحفاظ على النص.

جمع عثمان: سبق أن ذكرنا أن القرآن نزل على سبعة أحرف تيسيرًا على الأمة الأمية التي تسود فيها الثقافة الشفاهية ليسهل عليها القراءة والحفظ. وكان من الطبيعي أن من يستمع القرآن من المسلمين من النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكونوا دائمًا نفس الأشخاص في كل مرة، وهذا أدى إلى أن نشأ منذ عهد الصحابة تباين في القراءات. وحصل بسبب ذلك وقائع ذكرتها كتب الحديث، وفيها نبه النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة إلى أن مرد ذلك إلى الأحرف السبعة.

منها ما رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم، ثم لببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت له: كذبت: فوالله إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام))، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هكذا أنزلت)). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأ يا عمر))، فقرأت هذه القراءة التي أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله -صلى

(١) انظر ابن حجر، مرجع سابق، ١٨٧/١٤-١٨٨.

الله عليه وسلم-: ((هكذا أنزلت))، ثم قال: ((إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منها))."(١)

ومع اتساع الفتوحات الإسلامية وتفرق القراء في الأمصار، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته، ووجوه القراءة التي يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها، فكانوا إذا اجتمعوا في موطن من مواطن الغزو عجب بعضهم من هذا الاختلاف، وربما تطور الأمر إلى خصومة ومراء ولجاج، وفي هذا من الشر ما فيه؛ فضلًا عن أن هذا قد يثير نوعًا من الشك أو الحيرة لدى من لم يدركوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو مرشح للتفاقم بعد جيل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. وتجلى هذا الأمر في غزو أرمينية وأذربيجان عندما رأى حذيفة بن اليمان كثرة وجوه اختلاف القراءة، وما فيها من اللحن، ما ترتب على ذلك من المراء والتكفير.فلما بلغ ذلك عثمان شاور الصحابة، وشكل لجنة لنسخ القرآن الكريم من الصحف المودعة عند حفصة منذ الجمع الأول. واتفقوا على نسخ القرآن على حسب الحرف الأول الذي نزل به القرآن وبه كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وبحسب العرضة الأخيرة.(٢)

ويعرف صنيع عثمان هذا بجمع القرآن أيضا، والفرق واضح بينه وبين صنيع أبي بكر رضي الله عنه من حيث الدافع والهدف. إذ كان الدافع لأبي بكر هو خشية ذهاب شيء من القرآن بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعًا في مصحف واحد، فكان هدفه جمع ما تفرق منه في موضوع واحد. وأما الدافع لعثمان فهو كثرة الاختلاف في القراءة بحسب الأحرف السبعة واللهجات؛ خاصة مع اتساع رقعة الأراضي الإسلامية ودخول العجم في الإسلام بما خشي معه الفتنة والاختلاف والتفرق، فكان هدفه جمع الناس على الحرف الأول الذي نزل به القرآن بعد أن زال سبب الرخصة.(٣) ولذلك أرسل نسخًا للأمصار، وأمر بتحريق ما يخالفها من المصاحف.

(١)انظر البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ١٤/٢٠٣-٢٠٥، مسلم، مرجع سابق، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، ٦/٩٨-١٠٠.

(٢)انظر السيوطي، مرجع سابق، ١/١٦٤-١٧١.

(٣)هذا هو رأي الجمهور أن مصحف عثمان هو أحد الأحرف السبعة.

على أن عثمان لم يكن يقصد كما يعتقد بصفة عامة إلى إلغاء كل اختلاف في القراءات. بل كان مصحفه يتكون من هيكل كلمات تقبل القراءة بطرق مختلفة، بل وكان حرصه دائبًا على أن يوضح القراءات المعروفة على النص ذاته في كل مرة لا تتمكن الكلمات إلا من إظهار طريقة واحدة في القراءة. فنرى كلمة "مسيطر" مكتوبة بالسين ويعلوها حرف ص، أو مكتوبة بالصاد وتعلوها السين. كما نجد في أحد مصاحفه "سارعوا" وفي مصحف آخر "وسارعوا " وأيضًا بما تشتهي" و"بما تشتهيه"، وأيضًا "سيقولون لله" و"سيقولون الله".

لقد كان عثمان يستهدف من ما فعله أمرين- كما يرى د. دراز: أولهما: أن إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة التي كانت تدخل في إطار النص المدون ولها أصل بنيوي مجمع عليه وحمايتها، فيه منع لوقوع أي شجار بين المسلمين بشأنها. ثانيهما: باستبعاد ما لا يتطابق تطابقًا مطلقًا مع النص الأصلي، وقاية للمسلمين من الوقوع في انشقاق خطير فيما بينهم، وحماية للنص ذاته من أي تحريف نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها نوعًا ما، أو أي شروح يكون الأفراد قد أضافوها لمصاحفهم بحسن نية.

ولا يفهم مما سبق أن الطبعة العثمانية- فضلًا عن المصحف العثماني الأصلي- تتضمن جميع القراءات التي قد يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد علمها للناس باسم السبعة أحرف. لأنها إذا كانت قد اشتملت بالفعل على القراءات التي اتفق عليها أن النص الأصلي كان يتضمنها في صورته الأخيرة، فقد استبعدت هذا الطبعة من ناحية أخرى كل قراءة واردة عن طريق الأحاد، ولا يتوفر فيها الضمان المطلوب. ولقد وفق هذا المبدأ منذ البداية بين آراء آلاف الصحابة الحاضرين وارتضوه عن طيب خاطر.

إن هذا الاستبعاد عن النص المدون لم يكن الغرض منه- كما يبدو- ولا من نتائجه إلغاء القراءات الشفوية إذ بوضع الأمور على هذا النحو في نصابها، ترك الباب مفتوحًا لكل من كان يؤكد أنه سمع الرسول يقرأ بقراءة معينة لكي يقرأ بقراءاته الخاصة بحرية تامة وتحت كامل مسؤليته الأدبية ومن غير أن يلزم جماعة المسلمين كلها بما يؤكد سماعه. وهذا الموقف المعقول والعادل يتضح بجلاء أولًا من رد عثمان نفسه على المتمردين، إذ قال: أما القرآن فلم أمنعكم إلا لأني خشيت عليكم الفرقة، ويمكنكم أن تقرأوا بالحرف الذي يتسر

لكم. ومازالت هذه القراءات الفردية حتى اليوم تستخدم في مدارس أهل السنة لا على أنها نص قرآني ولكن كأحاديث آحاد.(١)

إن ما عني به صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لإثبات صحة النص القرآني هو المطابقة الحرفية لكل جزء منه طبقًا لما نزل ودون في البداية بإملاء الرسول، وتلي فيما بعد أمامه، وحمل تصديقه النهائي قبل وفاته. وهذه الموضوعية المطلقة تشهد لهم لا عليهم. ومع ذلك فهناك كلام عن ابن مسعود أو غيره من الصحابة(٢). لكن لا يمكن تجريح إجماع الصحابة على النص العثماني من هذا الطريق. فالحقيقة أنه لم يحدث أن نازع أحد منهم في صحة هذا النص، وإنما بجانب هذ النص كانت توجد قراءات خاصة أخرى أكد من رواها أنها منسوبة إلى رسول الله، ومع ذلك عجزوا عن تقديم الدليل المادي لهذا الإسناد. ومن ثم حرص الصحابة لا على جعلها تنافس وتحل محل النص المجمع عليه، وإنما على المحافظة عليها بجانب هذا النص الصريح.

إن إعدام هذه المخطوطات الفردية إنما يدل على أن عثمان كان بعيد النظر وعميقًا في إدراك حقيقة الأمور-على أنه لم يأخذ هذا القرار إلا بموافقة الصحابة وبعد مشورتهم. وهكذا يرجع فضل تمتع المسلمين اليوم بوحدة كتابهم واستقراره إلى هذا العمل المجيد الذي قام به عثمان -رضي الله عنه. ومهما أضيف إلى المصحف العثماني من علامات خارجية فإن النص باق كما هو على الدوام يتحدى فعل الزمن. ووجود بعض الحروف الزائدة، أو الكلمات المدغمة، أو الكتابات القديمة التي اقتصرت على كتابة المصاحف وحدها في جميع نسخ القرآن اليوم، يعد شهادة بليغة على الأمانة التي انتقل بها البناء القرآني من جيل إلى جيل حتى وصل إلينا بهذا الكمال المنقطع النظير.(٣)

(١) انظر، دراز، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٥.
(٢) انظر ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان، (١٤٢٣/٢٠٠٣) كتاب المصاحف، تحقيق محب الدين واعظ، ط ٢، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١/١٧٩-١٩٢.
(٣) المرجع السابق، ٥٠-٥١، بتصرف واختصار.

المطلب الثالث: الجانب الكتابي للوحي القرآني أثره

اختص القرآن بطريقة رسم خاصة في كتابته. ذلك أن اللجنة التي كونها عثمان رضي الله عنه لكتابة المصحف ونسخه اتفقت على أن تكتبه على نحو يجعل الكلمة محتملة للقراءات الثابتة المستوفية لشروط التوثيق التي التزمتها اللجنة. حتى إن المصاحف كانت غير مشكولة ولا منقوطة، لتكون صورة الرسم محتملة، إذ كان الاعتماد على التعليم الشفاهي في تلقي القرآن الكريم والنطق به.

واحتفظ القرآن المسطور بهذا الرسم، وصارت طريقة متوارثة ولها من القدسية ما أبقاها إلى يوم الناس هذا سنة متبعة وإن كانت باصطلاح، كما أن القراءة سنة متبعة بتوقيف. وألفت كتب في رسم المصحف، وما يميزه عن طريقة الإملاء التي تطورت عبر العصور، حتى صارت إلى الطريقة المعروفة اليوم. إذ يخالف رسم المصحف القواعد المتعارف عليها من قواعد الإملاء في كثير من المواضع لاعتبارات يصعب وضع قاعدة لها. وإن وضعت قاعدة أغلبية ظهر لها استثناءات.(١)

ومع هذه الخصيصة الكتابية للوحي القرآني وأثرها في نشأة علم رسم المصحف، فقد كان لتدوين القرآن وقراءاته أيضًا دور كبير في الحفاظ على اللغة مع تطورها الشفاهي ودخول العاميات ولحن الأعاجم؛ ولذا بقيت الفصحى المتأثرة بالقرآن فريدة مفهومة يتحدث ويكتب بها علماء المسلمين من القرن الأولى إلى يوم الناس هذا.

وهكذا سلك القرآن للحفاظ على اللغة العربية طريقين:

الأول: توسيع انتشارها بين الناس، فقد كانت اللغة العربية محدودة في شبه الجزيرة العربية، لكن الفتوحات الإسلامية جعلت أهل البلاد المفتوحة يقبلون على القرآن لحفظه مما دفعهم لدراسة لغته. فأكثر الدول العربية الآن لم تكن تعرف العربية قبل دخول الإسلام إليها. كما أن العربية كانت ولا زالت منتشرة في كل البلاد الإسلامية وإن بدرجات مختلفة. وظهر من أئمة اللغة من هذه الأقطار من فاق كثيرًا من العرب الخلص من معاصرية. بل هجرت بشكل كامل اللغات الأصلية التي كانت في البلاد العربية

(١) انظر في الصدد السيوطي، مرجع سابق، ١٤٥-١٦٦.

الموجودة الآن. ولما تعرضت أكثر هذه الدول العربية للاحتلال لعقود لم يستطع المحتلون مع شدة مكرهم القضاء على اللغة العربية بسبب وجود القرآن الكريم، وإن أثروا بشكل واضح في إضعافها جزئيًا.

والثاني أنه هذبها ونقاها وبلغ بها الذروة من الكمال اللغوي، مما أهلها إلى عالميتها المقترنة بعالمية الرسالة القرآنية. وذلك عن طريق أمور ثلاثة:

١. توسيع المصطلحات والمدلولات. فقد جاء القرآن وحول كثيرًا من الألفاظ إلى اصطلاحات لها مدلولات إسلامية خالصة. وتأسست على القرآن معارف صارت أيضًا لها اصطلاحات خاصة بها. فصارت اللغة العربية لغة علم ومعرفة وحضارة وثقافة وتشريعات.

٢. درأ التحريف عن اللغة العربية والحيلولة دون ذوبانها كما ذابت لغات أخرى في لغات الدول التي وفدت عليها في مراحل القوة، ولا في لغات الدول التي احتلتها في فترات الضعف، لا في القديم كالصليبيين والمغول، ولا في الحديث كالدول الاستعمارية.

٣. التعبد بقراءة القرآن وتلاوته، والحث على ذلك، مما يساعد على تقويم الألسن بالعربية.[1]

وأيضا فالتدوين لم يكن فقط حفظًا للنص، بل ساهم تحويل الكلام إلى نص في نشأة العلوم التحليلية المرتبطة بالثقافة الكتابية باعتبارها تحولًا مرئيًا للغة. وقد كان لتدوين القرآن وما ارتبط به بعد ذلك من علوم أثر كبير في التحول العربي إلى الثقافة الكتابية وانتشارها. فوجود القرآن في صورة مكتوبة شجع على مزيد من التأمل في نصه ومعانيه، وهو التأمل الذي يند كثير منه مع ذهاب أثر الصوت المسموع للكلمة المنطوقة، بما فتح بابًا واسعًا في علوم التفسير والخواطر الإيمانية، والتأملات الفلسفية نتيجة القراءة التحليلية المرتبطة بالجانب الكتابي من الثقافات. وساهم كل ذلك في ازدهار الجانب المعرفي والثقافي والحضاري للأمة الإسلامية.

(١)انظر الرومي، فهد بن عبد الرحمن، (٢٠٠٠/١٤٢٠) خصائص القرآن الكريم، ط١٠، الرياض، العبيكان، ص ٦٠-٦٩.

نتائج البحث

١. الشفاهية بمعنى التلقي شفاهة أصل في الوحي القرآني.

٢. الأصل في القرآن حفظه في الصدور، وحفظ السطور مكمل ومتمم.

٣. نظم القرآن مشتمل على آليات مساعدة على حفظه وتذكره.

٤. الإيقاع الصوتي للقرآن الكريم من أسباب إعجازه، ومن أسباب الإيمان به.

٥. قراءة القرآن الكريم سنة شفاهية متبعة، كما أن كتابته ورسمه سنة متبعة.

٦. جانبا الوحي الشفاهي والكتابي متكاملين في الوحي القرآني.

٧. أمية الرسول -صلى الله عليه وسلم- من معجزاته في الوسط الشفاهي الذي كان يعيش فيه، بالنسبة لما جاء به من النور والعلم المتمثلين في الوحي.

٨. أدرك النبي -صلى الله عليه وسلم- أهمية الكتابة، واستشرف التحول الثقافي الذي يطرأ على الأمة من بعده، فاهتم بتدوين الوحي، وشجع أتباعه على تعلم الكتابة.

٩. كان للصحابة دور هام في إكمال ما بدأه النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الصدد، وقد قيضهم الله عز وجل لحماية دينه وكتابه، والعمل على حفظ الأمة من الاختلاف والشقاق.

١٠. القرآن الكريم له رسم خاص أثر في نشأة علوم مرتبطة به.

١١. تدوين القرآن الكريم فتح آفاقًا كبيرة للأمة من العلم والثقافة والانتشار والعالمية.

١٢. حافظ تدوين القرآن على اللغة العربية، وساعد على نقائها وتهذيب الألسنة بها.

١٣. ساعد تدوين القرآن على نشأة وانتشار النظرة التحليلية المرتبطة بالثقافات الكتابية، فنشأت كثير من التأملات، والتفسيرات والخواطر حول نص القرآن.

١٤. ينبغي دائما الحذر عند محاولة تطبيق النظريات المعاصرة الخاصة بقراءة النصوص، وكذلك التحولات الثقافية عند تطبيقها على النص القرآني.

جريدة المراجع

١. الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٠٨/١٩٨٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته، مجلدان، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي.

٢. أونج، أولتر ج. (١٩٩٤) الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٨٢ فبراير.

٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٩٣/١٤١٣)، صحيح البخاري، (مطبوع مع فتح الباري)، تحقيق طه سعد، ١٩ مجلد، ط١، القاهرة، دار الغد العربي.

٤. الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب (بدون تاريخ)، إعجاز القرآن، القاهرة، مكتبة مصر.

٥. الترمذي، محمد بن عيسى (بدون تاريخ)، جامع الترمذي، (مطبوع مع شرح تحفة الأحوذي) ١٠ مجلدات، تحقيق عبد الرحمن عثمان وآخرون بيروت، دار الفكر.

٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٢٥/٢٠٠٤) مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، ٣٧ مجلدًا، مجمع الملك فهد.

٧. أبو الحسين، أحمد بن فارس، (١٩٧٩/١٣٩٩) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ٦ مجلدات، بيروت، دار الفكر.

٨. ابن حنبل، أحمد، (١٤١٨/١٩٩٧) مسند أحمد، ٢٥ مجلدًا، القاهرة: مؤسسة قرطبة، إكمال طبعة دار المعارف.

٩. أبو داود، سليمان بن الأشعث، (١٤٠٨/١٩٨٨) سنن أبي داود، ٤ مجلدات، القاهرة: دار الحديث.

١٠. ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان، (١٤٢٣/٢٠٠٣) كتاب المصاحف، تحقيق محب الدين واعظ، ط ٢، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

١١. دراز، عبدالله، (١٩٨٤/١٤٠٤)، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، الكويت، دار القلم.

١٢. الدليمي، أكرم عبد خليفة، (١٤٢٧/٢٠٠٦) جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٣. الدوري، قحطان عبد الرحمن، (١٤١٧/١٩٩٦) أمية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ط١ ، عمان، دار البشير.

١٤. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (١٤٠١/١٩٨١)، تفسير مفاتيح الغيب، ٣٢ مجلدًا، ط ١ (بيروت: دار الفكر.

١٥. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (بدون تاريخ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

١٦. أبو زهرة، محمد، (١٤١٨/١٩٩٨)، القرآن المعجزة الكبرى، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٧. سلامة، عبد الفتاح، (١٤٢٠/١٩٩٩) من قضايا الوحي والتزيل في القرآن الكريم، ط١، طنطا، دار الصحابة.

١٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (بدون تاريخ) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤أجزاء في مجلدين، القاهرة، دار التراث.

١٩. شاهين، عبد الصبور، (٢٠٠٧) تاريخ القرآن، ط٣، القاهرة، نهضة مصر.

٢٠. ابن عاشور، محمد الطاهر، (بدون تاريخ) التحرير والتنوير، ١٢ مجلدًا، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

٢١. العسقلاني، أحمد بن حجر، (١٤١٣/١٩٩٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق طه سعد، ١٩ مجلد، ط١، القاهرة، دار الغد العربي.

٢٢. العلوي، يحيى بن حمزة، (٢٠٠٩) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣ مجلدات، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر ١٨٨.

٢٣. القطان، مناع، (١٤٢١/٢٠٠٠) مباحث في علوم القرآن، ط٣، الرياض، مكتبة المعارف للنشر.

٢٤. قطب، سيد، (٢٠٠٤/١٤٢٥) التصوير الفني في القرآن، ط ١٧، القاهرة، دار الشروق.

٢٥. ابن كثير، عماد الدين اسماعيل الدمشقي (بدون تاريخ)، تفسير القرآن العظيم، ٤ مجلدات، القاهرة: دار التراث العربي.

٢٦. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (١٤٠٧/١٩٨٧)) ٦ مجلدات (١٨ جزءاً مع شرح النووي) ط١، القاهرة، دار الريان للتراث.

مراجع أجنبية:

1. A.J. Arbery, (1955) The Koran Interpreted, Touchstone, NY.

مواقع انترنت:

2. http://www.alwaraq.net/Core/dg/dg_topic?dmy=1&sort=vr&order=desc&ID=50&begin=81